تجليات آراء الجرجاني اللغوية في الفكر اللغوي لتشومسكي

The manifestations of the linguistic views of Jarjani in the linguistic thought of Chomsky

طالبة الدكتوراه/ عيّاد أم السعد

الأستاذ الدكتور/ رزايقية محمود

قسم اللغة والأدب العربي . المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي . تيسمسيلت (الجزائر)

مخبر الدراسات النقدية والأدبية، المركز الجامعي الونشريسي، تيسمسيلت .

ayadom298@gmail.com

abousoltane141@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/05 تاريخ القبول: 2020/12/09 تاريخ القبول: 2021/03/15

ملخص:

حاولت هذه الدراسة رصد مجموعة من مظاهر اللقاء بين فكر عبد القاهر الجرجاني وبعض الآراء اللسانية عند نعوم تشومسكي.

فلا يمكن إغفال قيمة نظرية النظم في تراثنا اللغوي والبلاغي. وها هي هذه النظرية، رغم ما مرّ عليها من قرون، تخدم اللسانيات الحديثة، وتحمل في طياتها مفاهيم الحداثة وتجلياتها.

فقد عمدتُ في هذا البحث إلى إنجاز قراءة في (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني، وقراءة أخرى في النظرية التوليدية التحويلية لنوام تشومسكي، سعياً منّي للكشف عن حضور نظرية النظم في النحو التوليدي.

الكلمات المفتاحية: نظم؛ نحو؛ توليد؛ تحويل؛ تراث لغوي؛ لسانيات.

Abstract:

This study attempted to find out a set of common aspects between the thought of Abdel-Quaher El jarjani and some linguistic views of Noam Chomsky. .

The value of theory of verse(NAZM) in our linguistic and rhetorical heritage cannot be overlooked and this theory despite the

centuries passed, it serves the modern linguistics and carrying within it the concepts and manifestations of modernity.

In this research, I intended to read Abdel-Quaher's miracles evidence and another reading in the transformative obstetric theory of Noam Chomsky to reveal the presence of the system theory in the generative grammar.

key words: word; theory of verseNAZM) ; grammar; generative; transformative; linguistic heritage; linguistics.

مقدمة:

عبد القاهر الجرجاني، علم من أعلام العربية، وأبرز البيانيين القدامى، حيث تعتبر نظريته "النظم " نقلة نوعية فريدة من نوعها بلغها الدرسُ اللّغويُ العربي. فقد جعل عبدُ القاهر النّظم سراً لتميّز العمل الأدبي، وأوكل إليه قيمته الفنية مبينا أسس صحة النظم وفساده، وهو بصنيعه هذا قد أصبح مرجعاً لمن لحقوا به، وحتى المحدثين الذين اتخذوا من أفكاره منطلقا لدراساتهم.

لم تكن الدراساتُ اللغويةُ لتشهد هذا التحوّل الكبير لولا ثورة اللسانيات الحديثة، التي ارتقت بالبحث اللغوي إلى مصاف العلوم التجريبية، وذلك من خلال المناهج والنظريات التي اعتمدتها في دراسة الظاهرة اللغوية.

ومن النظريات اللسانية الحديثة التي كان لها الصيتُ الذائعُ والتأثيرُ الكبيرُ : النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي، فقد أحدثت ثورة كبيرة في الدرس اللّساني الحديث، سبقت بها مبادئ المدرسة البنيوية، والتي كانت تعنى بوصف اللغة من دون النظر فيما تجتمع عليه اللغات.

وهذا التأثير الذي أحدثه تشومسكي أتاح للدارسين العرب المحدثين أن يطلعوا على مبادئ التوليدية ومحاولة قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء المنهج التوليدي التحويلي.

ويرى الكثير من الباحثين أن فكر عبد القاهر صالح لكل زمان ومكان نظرا للتشابه الكبير بين فكره وأفكار النظرية التوليدية التحويلية، وقد بحث الكثير منهم عن سر هذا التلاقي الكبير مبرزين أهم الجوانب التي يلتقي فيها هذان الرجلان، والتي سنعمل على توضيحها في هذا البحث.

ونسعى من خلال هذه الدراسة إلى الإجابة عن السؤال الإشكالي الآتي:ما هي أهم تمظهرات التراث في النظرية التوليدية التحويلية؟ وما معالم التلاقي بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي؟

أولا: التعليق (اللغة نظام من العلاقات):

إنّ مفهوم التعليق عند عبد القاهر الجرجاني يقترب من مفهومه لدى تشومسكي في نظرته للغة على أنها نظام من العلاقات، ونجد " أنّ عبد القاهر قد أبرز الصّلات التي تكون بين الكلمات التي تتألف منها الجملة _ موضوع تعلّق الكَلِم بعضه ببعض _ واهتمّ في كتابه (دلائل الإعجاز) بالعلاقات القائمة بصورة متبادلة بين وحدات الكلام، وهو ما أكّده في النظم، وأكّد معه بأنّ الهدف من اللّغة لا ينحصر في إعلام السامع بمعاني المفردات، وإنما اللّغة وضعت للتواصل، فهي ظاهرة اجتماعية لا فردية"[1].

فاللّغةُ نظامٌ تواصليٌ يقوم على مجموعة من العلاقات بين معاني الألفاظ التي يستعملها المتكلّم لإبلاغ السامع المعاني التي يريد أن تصله.

ويرى الجرجاني أنه لا نظم ولا تأليف في الكلم حتى تتعلّق أجزاءُ الكلم بعضها ببعض،"فمعلوم أن ليس النظمُ سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض. والكلم ثلاث: اسم، وفعل، وحرف. وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلّق اسم باسم، وتعلّق اسم بفعل، وتعلّق حرف بهما"[2].

فالنظم حسب الجرجاني هو ائتلاف أجزاء الكلم من اسم وفعل وحرف فيما بينها، فتتعلق بعضها البعض لتبيّن معنى الكلام.

وللتعليق أهمية كبيرة عند الجرجاني، ويتّضح ذلك جلياً في قوله: " واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشكُّ، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويُبنى بعضُها على بعض، و تجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقلٌ ولا يخفى على أحد من الناس"[3].

فالنظم، حسب الجرجاني، ليس رصف الكلمات وضمّها إلى بعضها البعض، وأنّ مزية العبارات أو الوحدات اللّغوية لا تتحقّق إلّا إذا ارتبطت ببعضها البعض، وتعلّقت معانيها بمعاني بعض، ووقعت هذه بسبب تلك" فمثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة. وذلك أنّك إذا قلت لك:((ضرب زيدٌ عمرا ضرباً

شديدا تأديبا له))،فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم، هو معنى واحد لا عدّة معان كما يتوهمه الناس. وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها، وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو (ضرب)، و بين ما عمل فيه، و الأحكام التي هي محصول التعلق"[4].

إذن فالنظم يقوم على التعليق، والتعليق الذي يقصده الجرجاني ههنا تعلق معاني الألفاظ فيما بينها لا فيما بين أنفسها، ذلك أن ترتيب الألفاظ واتساقها يرجع إلى ترتّب معانيها في النفس.

ويرى تمّام حسان أنّ التعليق "أخطر شيء تكلّم فيه عبد القاهر على الإطلاق، فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب، وإنما كان التعليق؛ وقد قصد به في زعمي إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية..."[5].

جعل الجرجاني النحو قلب النظم وأساسه، فلا نظم ولا ترتيب دون نحو.

ويمثل الجرجاني لتأثير علاقات السياق في دلالة المفردة بقوله تعالى:

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44) ﴾[6].

في هذه الآيات الكريمة تظهر وجوه إعجاز القرآن الكريم، وفيها "تجلّى لك الإعجازُ، وبهرك الذي ترى وتسمع. إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن نستقرّ بها إلى آخرها، وهكذا إلى أن تستقريها، وأنّ الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها"[7].

إنّ السرّ في كون هذه الآية بلغت من الإعجاز والفصاحة والبلاغة ما بلغت حسن الاختيار ودقّة التركيب على مستوى الصيغ اللّفظية والتركيبية. فالكلمة مفردة لا قيمة لها بعيدا عن مثيلاتها، بل تتحدّد قيمتها من خلال تموقعها في التركيب وفي سياق معين، فتنتظم مع بعضها البعض كعقد يضمّ مجموعة من اللآلئ لتخرج في أحسن تصوير.

ويجد تمّام حسان في فكرة التعليق عند عبد القاهر الجرجاني البديل لقضية العامل النحوي، فيقول: " وفي رأيي _ كما كان في رأي عبد القاهر على أقوى احتمال _ أن التعليق هو

الفكرة المركزية في النحو العربي، وأنّ فهم التعليق على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية، لأنّ التعليق يحدّد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويُفسّر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعاً في التحليل اللغوي..."[8].

أفاد تمام حسان من فكرة التعليق عند عبد القاهر في بناء نظرية تظافر القرائن التي عرف بها في الآونة الأخيرة، ووجد فيها الحلّ الأمثل للقضاء على مقولة العامل النحوي الذي هيمن على التفكير النحوي العربي لأمد طويل.

ثانياً: مفهوم الكفاية والأداء اللغوي:

للنظرية التوليدية التحويلية مفاهيم ومصطلحات خاصة بها أوجدها ناعوم تشومسكي في بناء نظريته هذه لتعبّر عن أفكاره وتحليلاته اللّغوية، ومن بينها: الأداء اللغوي Performance الذي هو الإنجاز الفعلي لما هو موجود في ذهن المتكلم، وقد لا يتوافق هذا الأداء مع الكفاية اللغوية فينشأ فيه فسادٌ وانحرافٌ ينتج عن عوامل مختلفة تتعلق بالمقام والسياق، وكذلك الحالة النفسية والذهنية وحتى الاجتماعية للمتكلّم[9].

وكذلك اهتم تشومسكي بما يسميه القدرة Competence، ويعرفها على أنّها "مجموعة قواعد (عقلية) يستطيع المرء بها أن يُنتج عدداً غير محدود من الجُمَل"[10].

يحتوي عقل المتكلّم، حسب تشومسكي، على مخزونٍ لغويٍّ يُمَكّنُهُ من توليد عدد لا محدود من الجُمَل.

يتّفقُ عبدُ القاهر وتشومسكي في" أنّ المتكلّمَ يمتلك قدرةً لغويةً _ أتيحت له عن طريق النحو _ تسمح له بتوليد عبارات لانهائية، ذلك أنّ معاني النحو عند عبد القاهر تقوم على فروق ووجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، وكلّها من إبداع صاحب اللغة، الذي يتوخى معاني النحو في كلّ ما ينظمه أو ينثره. وبالمثل رأى تشومسكي أنّ المنهج الرياضي الذي يؤكّد ميكانيكية التركيب يساعد على وجوه أنماط لا نهائية، وليست المسألة مجرد تلاحم بين الصيغ، أو رصّ كلمات، وإنما يجب أن نضع في الاعتبار دائما الصلات المعقدة ، أمتجاوزة كانت أو غير متجاوزة[11].

فإذا كان نعوم تشومسكي يهدف إلى البحث عن الكليات اللّغوية، فإنّ الجرجاني يبحث عن النظام الذي يتجسّد في الظاهرة اللغوية. والكشف عن هذا النظام يعني الكشف عن البنية

الحقيقية، وهذا يترتّب عليه تحديد العلاقات النحوية التي تصل بين الألفاظ والتراكيب ثم تفسيرها في الوقت نفسه.

وقد تنبّه الجرجاني بحديثه عن مَزيّة النظم وفساده وارتباطه بالنحو قبل زمن بعيد من مفهوم الكفاية والأداء اللغوي اللّذين جاء بهما تشومسكي، بحيث يرى أنّ الأداء" هو الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة باللغة"[12].

فالجرجاني من خلال مفهومه للنحو يريد النظم وارتباط الوحدات اللغوية، وائتلافها مع بعضها البعض لإنشاء الكلام يقترب من مفهومه عند تشومسكي الذي يريد به العلاقة بين العوامل اللغوية التي تتحكم في أداء الكلام. فكلاهما يبحث في حقيقة الظاهرة اللغوية، وعلاقة الكلمة مع أخواتها والبدائل الممكنة لها وفقا لمتطلبات السياق.

وفصّل الجرجاني في هذا الأمر بقوله: "فلسْتُ بواجد شيئا يرجع صوابه _ إن كان صوابا_ وخطؤه إن كان خطأ أنّ (النظم)، ويدخل تحت هذا الاسم، ألا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له. فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه إلّا وأنت تجد مرجع تلك الصحّة، وذلك الفساد وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتّصل بباب من أبوابه"[13].

ما يمكن استخلاصه من هذا القول أنّ النظم وقواعد النحو التي يبنى عليها الكلام هما اسمان آخران للأداء اللغوي والكفاية عند تشومسكي[14] . فما قام به الجرجاني في نظرية النظم إنجازٌ عظيمٌ، لأنّه يُؤكّد على أهمية النحو ودوره في تحويل وتوليد جُمَل لا حصر لها، وهو الرأيُ الذي تبنّاه تشومسكي بجعْله النحو أساساً لنظريته .

ثالثا: البنية العميقة والبنية السطحية:

تفطّن عبدُ القاهر في دراسته للّغة إلى مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية في حديثه عن المعاني؛ بأنّ هناك كلامٌ تصل به إلى معنى أوّلي يُفهم من ظاهر التركيب كلام تصل إلى معناه بمعنى المعنى، كان يتحدّث عن البنية السطحية وتحولها إلى بنية عميقة.

ويؤكّد ذلك البهنساوي في قوله أنّ "القواعد التحويلية، ودورها الهامُّ في إلقاء الضوء على الأبنية السطحية النحوية المنطوقة، تلك القواعد الفاعلة، والتي تستعين في عملية التحويل للأبنية العميقة بالمكونات التركيبية، والدلالية، والفونولوجية، لم تكن هذه القواعد بعيدة عن

إدراك عبد القاهر، حيث عرضها في كتابه القيّم دلائل الإعجاز وبيّن دورها الفعّال في إلقاء الضوء على التراكيب النحوية"[15].

خلّص عبدُ القاهر النحو من النظرة التقليدية، أي بكونه قواعد وقوانين جافّة ومطاردة للحركات الإعرابية، فجعله أساساً لصحّة النظم واستقامته.

إنّ الجرجاني في اهتمامه بالجملة أوضح أنّ هناك جملة ظاهرية وأخرى عميقة تحمل دلالات مختلفة، مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4)﴾[16] ، فهذه الآية ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ تحملُ معنى يفهم من ظاهر اللفظ ومعنى يعقل من هذا المعنى، ويرى أنّ هذه الآية نالت من الشرف والفخامة ما نالت ليس بسبب حسن الاستعارة فقط، وإنما يرجع ذلك الحسن وتلك الروعة إلى طريقة نظم الكلام، فأسند الاشتعال للرأس في اللفظ، وهو في الحقيقة مسند للشيب في المعنى للدلالة على الشمول، ولو قيل: اشتعل شيب الرأس لما وجدنا ذلك الحسن وتلك البلاغة[17].

فقد اجتاح الشيبُ كلّه رأس سيدنا زكريا عليه السلام، ولم يبق من السواد شيئا فيه للدلالة على الشمول والعموم، وهذا المعنى لا يفهم إذا قيل: (اشتعلَ شَيبُ الرّأس)، فقد يكون الشيبُ قد أصاب جانباً أو أكثر من جانب في رأسه، مثل قولك: (اشتعلَ البيتُ نارا)؛ أي اشتعال البيت كلّه. وإتيان النار كلّ جوانبه للدلالة على الشمول، وهو ما لا يفهم من قولك: (اشتعلت النار في البيت)، فَلَرُبما قد أتت النارُ جانباً من جوانبه[18].

إنّ تغيّر الترتيب يؤدّي إلى تغيّر المعنى، فيعلّل الجرجاني تغيّر معنى البنية إلى تغيّر ترتيب أجزاء الكلم وتعلّقه ببعضها البعض.

ويقترب الجرجاني أكثر في حديثه عن الجملة من مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية عند المدرسة التوليدية التحويلية لمّا يفصل في قضية تناسق دلالات الكلام وائتلافها بترتّب معانيه في النفس لتخرج سلسة وعذبة، ذلك أنّ هذه الألفاظ انعكاس لهذه المعاني؛ فشرف اللّفظ من شرف المعنى المختار له، لذلك " فالعلاقة بين المعنى الوجداني في النفس، وما يعبّر عنه بالأصوات علاقة ترجمة أو تحويل لما وقر في الذهن من معاني مترتبة على نظام معين، أو نسق ما، وحين نريد فهم العلاقة بين البنى السطحية والبنى العميقة عند التحويليين نجد هذه الصورة نفسها هي المقصودة عندهم. فالتحويليون يرون أنّ البنى السطحية مستمدّة من البنى العميقة من طريق التحويل... وتشومسكي يريد بالبنى العميقة هنا قواعد اللّغة، وهي التي سمّاها الجرجاني بـ(معاني النحو) التي يراعيها المتكلمُ"[19].

فما هو كائنٌ في النفس وثابتٌ في العقل يتحوّل إلى منطوق من خلال توخّي قواعد اللّغة ومراعاتها.

وقد أشار الجرجاني في سياق حديثه عن النظم إلى أسبقية البنية العميقة للبنية السطحية حين قال: "وإذا كان لا يكون في الكلم نظمٌ ولا ترتيبٌ إلّا بأن يصنع بها هذا الصنيع ونحوه، وكان ذلك ممّا لا يرجع منه إلى اللّفظ شيء، ومما لا يتصور أن يكون فيه ومن صفته. بان لك أنّ الأمر على ما قلناه من أنّ اللفظ تبعٌ للمعنى في النظم، وأنّ الكلم يترتّب في النطق حسب ترتيب معانيه في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا وأصداء حروف...لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أنه يجب فيها ترتيب ونظمٌ، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأنه يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك"[20].

ليس المقصود بالنظم ضمّ الألفاظ إلى بعضها البعض بغرض الضمّ، وإنما المقصود بها: أنّ نظم ما هو كائنٌ في النفوس ينعكس على نظم الألفاظ وتعليقها لأداء هذه المعاني في أحسن صورة.

برع عبد القاهر في حديثه عن العدول أو المجاز وخروج المعنى عن المألوف، فنوّه إلى إمكانية تحوّل العلامات اللّسانية من حقل لآخر لأغراض بلاغية مثل: الكناية والمجاز، فيقول:" اعلم أنّ لهذا الضرب اتّساعاً وتفنناً لا إلى غاية، إلّا أنّه على اتّساعه يدور في الأمر الأعمّ على شيئين ((الكناية)) و ((المجاز)).والمراد بالكناية ها هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: ((هو طويل النجاد))، يريدون به طويل القامة، و((كثير رماد القدر))، يعنون كثير القرى...فقد أرادوا في هذا كله، كما ترى، معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصّلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود.."[21].

فالمقصود بالكناية أن تطلق اللفظ مريدا به معنى آخر غير ظاهره، فتنتقل بالجملة من معنى سطحي إلى معنى عميق، ففي العبارة الأولى (طويل النجاد) معنى سطحي يفهم من ظاهر الكلام؛ أي طويل القامة، بينما لها معنى آخر يفهم من المعنى الأوّل، وهو الشجاعة.

أمّا العبارة الثانية (كثير الرماد): فكذلك تحمل معنى عميقاً غير المعنى السطحي (كثرة الطعام)، ولها معنى آخر وهو الكرم والسخاء.

رابعا: التوليد والتحويل:

عرض علماء العربية، ومنهم الجرجاني إلى مفهوم التوليد عند تشومسكي، فقد تحدث الجرجاني عن تناهي الألفاظ ومحدوديتها وعدم تناهي الأفكار والمعاني، وهي مسألة عالجها الجاحظ قبل الجرجاني، كون المعاني مطروحة في الطريق تمرّ بها كلّ فئات وطبقات المجتمع، لكن السرّ يكمن في تخيّر الألفاظ المعبرة عنها، وهذا يرجع أساسا إلى محدودية الألفاظ وعجزها في الكثير من الأحيان عن ترجمة ما يدور في النفس عن طريق الجمل[22].

يرى ناعوم تشومسكي أن اللغة منظومة من الجمل، ولكل جملة فيها طولها المحدود،

وهي مكونة من مجموعة من العناصر اللغوية (فونيمات وحروف)، "ويمكن أن تمثل كل جملة بمتوالية محدودة من هذه الفونيمات (أو الحروف)، مع وجود عدد كثير غير محدود من الجمل..."[23]، فكل اللغات تشترك في خاصية مهمة، و هي خاصية توليد وإنتاج جمل لا حصر لها، وقد عرف الجرجاني مفهوم التوليد منذ قرون،" ليأتي تشومسكي بعد ما يقرب من ألف سنة مضت على هذا المذهب، فيرى الرأي نفسه، ويقرّر في كتابه ((البنى التركيبية)) أنّ :كل جملة فيها طولها المحدود، ومكوّنة من مجموعة متناهية من العناصر_ الألفاظ_ وكلّ اللّغات الطبيعية في شكليها(المكتوب والمنطوق) تتوافق مع هذا التعريف؛ وذلك لأنّ كلّ لغة طبيعية تحتوي على عدد متناه من الفونيمات _ الحروف الأبجدية_ وكلّ جملة، بالإمكان أن نتصورها تتابعا من الفونيمات، علماً بأنّ عدد الجمل غير متناه"[24].

فيمكن توليد جمل لا حصر لها باعتبار أن المعاني لا متناهية.

أمّا بالنسبة للتحويل، فقد عرف مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية، وإمكانية تحويل هذه الأخيرة إلى بينية عميقة من خلال الإمكانيات النحوية،" فقد أدرك علماؤنا، و عبد القاهر الجرجاني من بينهم على وجه التحديد، حقيقة المستوى العميق للبنية اللغوية التي أوّل ما تقوم عليه هو مبدأ التعلق بين أجزاء الكلمة، يقابل ذلك ما قال به تشومسكي بالبنية العميقة ليؤكّد كل منهما على وجوب امتلاك المتكلم قدرة لغوية، يكتسبها عن طريق النحو، تسمح له بإنشاء عبارات لا منتهى لها عند تشومسكي، أما عند عبد القاهر فمقيدة بمعاني النحو القائمة على فروق ووجوه كثيرة للكلام يتحكم بصورها، مقدرة المتكلم و كفايته اللغوية"[25].

حسب عبد القاهر الكلام على ضربين: ضربٌ تصل به إلى معنى أوّلي يُفهم من ظاهر الكلام، وضربٌ تصل إلى معناه بمعنى المعنى ، أي بالتحول الذي يحدث على مستوى البنية السطحية لتتحول إلى بنية عميقة.

ويؤكّد محمد عباس رأيه هذا بمقولة للجرجاني في دلائله حين يقول: "وههنا نكتة يجب القطع معها بوجوب هذا الفرق أبدا، وهي المبتدأ لم يكن مبتدأ لأنه منطوق به أولا، ولا كان الخبر خبرا لأنه مذكور بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأ لأنه مسند إليه ومثبت له المعنى، والخبر خبرا لأنه مسند ومثبت به المعنى"[26].

فليس اتّباع القاعدة هو الذي يحقّق الغرض المقصود، بل الوظيفة الدلالية هي المعنية بذلك.

وهو بهذا المفهوم يقوم " بتحويل القاعدة النحوية التي تحافظ على قانون النحو من أن المبتدأ هو ما يبتدأ به الكلام، و لذلك سمي بهذا الاسم، يحول هذا الاعتقاد السائد عند النحاة واللغويين إلى أنّ المعنى الدلالي هو الذي أخضعها لأن تكون على تلك الصورة، وتولد عنها هذا الترتيب في بنية العلاقات التي تكون الجملة"[27].

و إلى نفس المذهب يذهب تشومسكي، بحيث يرى إمكانية توليد عدد لا متناه من التراكيب بفضل النحو، فهو وسيلة من وسائل بناء وإنتاج الجمل[28].

فعن طريق التحويل الذي يتحقق بفضل النحو يستطيع الإنسان توليد جمل لا حصر لها تحمل معاني ودلالات مختلفة،

خاتمة:

بناءً على ما قدّمه عبد القاهر الجرجاني، وما أنتجته النظرية اللغوية الحديثة ممثلة في نعوم تشومسكي. يمكن لنا أن تستخلص النتائج التالية:

1 ـ إنّ الثورة اللّغوية التي أحدثها تشومسكي في الدرس اللّساني الحديث هي أصلاً ثورة جرجانية؛ خاصّة في معطيات النحو التوليدي التحويلي، وفي البنية العميقة والبنية السطحية.

2 ـ منهج تشومسكي في دراسة النحو التوليدي لم يأت من فراغ، إنما كان له اطّلاعٌ على المناهج اللغوية قبله، وبتأثره بالعلوم اللغوية العربية.

3ـ إنّ الهدف من هذه الدراسة هو بيان تأثير النظرية النحوية العربية ـ بطريقة غير مباشرة ـ في النظرية اللسانية (النحو التوليدي التحويلي) عند تشومسكي؛ وهذا يؤكّدُ وجود تقاطع وتلاقٍ بين الآراء النحوية للجرجاني والنحو التوليدي لتشومسكي.

4. حاول البحثُ جاهداً أن يُبرز الخيوط الرفيعة والرئيسة التي تُثبتُ تأثّر تشومسكي بآراء الجرجاني في النحو والنظم.

5. التأكيد على إسهام النظرية النحوية عند الجرجاني ونظرية النظم في تطوير المنهج النحوي التوليدي لدى تشومسكي.

الهوامش:

[1] السعيد شنوفة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة،مصر، ط :1، 2008،ص: 20

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،(د.ت.ط)، ص:04.

[3]. المصدر نفسه، ص 55.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:412 _413.

[5] حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ط:01، 1994، ص:188.

[6] سورة هود، الآية:44.

[7] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص:45.

[8] حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص:189.

[9] ينظر: القيسي عودة الله المنيع، العربية الفصحى مرونتها، و عقلانيتها، و أسباب خلودها، دار البداية، عمان، ط: 01، 1428هـ _ 2000م، ص: 55.

[10] شومسكي نعوم، البنى النحوية، تر:يؤيل يوسف عزيز، مر: مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط01، 1987، ص 05.

[11] عبد المطلب محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون _ الشركة المصرية العالمية للنشر_ لونجمان، مصر، ط: 01، 1995، ص: 82.

[12] القيسي عودة الله منيع، العربية الفصحى مرونتها، و عقلانيتها، و أسباب خلودها، ص:55.

[13] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 55.

[14] ينظر: القيسي عودة الله منيع، العربية الفصحى مرونتها، و عقلانيتها، و أسباب خلودها، ص:55.

[15] حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة . دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت، لبنان، ط1، 2009م،ص:182.

[16] سورة مريم، الآية:04.

[17] ينظر: الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 100_101.

[18] ينظر: المصدر نفسه،ص 101.

[19] العبيدي رشيد عبد الرحمن، الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام،بغداد، العراق، المجلد:18، العدد: 03، 1889، ص:14.

[20] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص:55 _ 56.

[21] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص:66.

[22] ينظر: العبيدي رشيد عبد الرحمن، الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين، ص:20_21.

[23] المرجع نفسه، ص:21.

[24] جومسكي نعوم، البنى النحوية، تر:يؤيل يوسف عزيز، ص 17.

[25] علوي حافظ إسماعيلي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة. دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص:182.

[26] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص:189.

[27] عباس محمد، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني دراسة مقارنة، دار الفكر،سورية، 1999، ص:29.

[28] ينظر: جومسكي نعوم، البنى النحوية، تر:يؤيل يوسف عزيز، ص 13.

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

القرآن الكريم برواية ورش

1 . الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،(د.ت.ط).

2 . شومسكي نعوم، البنى النحوية، تر:يؤيل يوسف عزيز، مر: مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط01، 1987.

ثانيا: المراجع:

3 . حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة . دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

4. حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ط:01، 1994.

5. عبد المطلب محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون _ الشركة المصرية العالمية للنشر_لونجمان، مصر، ط: 01.

6. العبيدي رشيد عبد الرحمن، الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام،بغداد، العراق، المجلد:18، العدد: 03، 1889،

7. عباس محمد، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني دراسة مقارنة، دار الفكر،سورية، 1999،

8 . القيسي عودة الله المنيع، العربية الفصحى مرونتها، و عقلانيتها، و أسباب خلودها، دار البداية، عمان، ط: 01، 1428هـ _ 2000م